أثر السياق في تحديد دلالة الاسم في تفسير السمعاني

جهاد جمال محمود محمد (*)

لا شك أن القرآن الكريم يُعد كَنْزًا من كنوز اللغة العربية، فهو يفيض بمكنونات اللغة وأسرارها، وبداخله دُررٌ من جواهر اللغة تحتاج لمن يكتشفها، ويخرج نورَها للكون أجمع. وبذلك فإنَّ الكشف عن بعض هذه الأسرار، والاجتهاد في إبراز بلاغة القرآن وأثرها في تحديد دلالة الألفاظ القرآنية يكون ضمن جماليات السياق الواردة به، و تُعد من أهم الدراسات القرآنية.

لقد كثرت الدراسات القرآنية في جميع جوانب اللغة العربية، وتعددت البحوث في دراسة الإعجاز القرآني، إلا أن كل هذا أفضى إلى إشراقات لغوية جديدة ، تؤكد أن كتاب الله لازال يزخر بكثير من الأسرار التي تحتاج إلى من يأخذ بيدها ويخرجها لتزيد من إضاءة للكون، وإبصار للعقل البشري للتفكر في ملكوت الخالق، وإيقانه بأن إعجاز القرآن باقٍ أبد الدهر.

ولتفسير السمعاني أهمية متميزة في إبراز دلالة المفردات بصورة دقيقة وموضحة، تتفق والسياق القرآني الذي ترد فيه هذه المفردة القرآنية، حيث إن لكل مفردة قرآنية دلالة معينة تتميز بها في ضوء سياقها، وقد لا تصح تلك الدلالة مع المفردات ذاتها في سياق آخر، وذلك لأنَّ "دلالة اللفظ في كل موضع بحسب سياقه، وما يحفّ به من القرائن اللفظية والحالية... "[1]. فتتمثل تلك القرائن اللغوية في مفردات سابقة أو لاحقة على المفردة موضع الشاهد تُضفي دلالة متميزة عليها تتفق ودلالات تلك المفردات المحيطة بها.

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [أثر السياق في تحديد دلالة المفردة التركيب في تفسير السَّمْعانيّ (ت ٤٨٩هـ)]، تحت إشراف: أ.د. سهير أحمد محمد العزازي- كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. إبراهيم عوض إبراهيم حسين – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(1)مجمع الفتاوي : ابن تيمية، ت: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد – المدينة النبوية – السعودية، ١٤١٦ه – ١٩٩٥م، (٦ / ١٤)

كما تتمثل تلك القرائن في آيات قرانية سابقة أو لاحقة تُكسب المفردة دلالة معينة تناسب موضعها، في حين أنَّ القرائن الحالية تتمثل في السياق العام للسورة الوارداة بها المفردة، وأيضًا أسباب النزول وغيرهما ممَّا يُعطي المفردة دلالة خاصة بها في ذلك المقام.

ومذهب السمعاني مراعاة تلك القرائن في تفسيره وتوظيفها في خدمة المعنى القرآني وتحديد دلالة معينة للمفردة القرآنية ، تتناسب والسياق القرآني الواردة به لما لتلك القرائن من أثر فعَّال في الكشف عن المراد من النص القرآني، وتفسيره و توضيح معانيه بصورة عميقة مليئة بالدلالات التي تهدي النفس للإيمان بالله،وتثير العقل للتفكر والتأمل في ملكوت المبدع - عزَّ وجلَّ - كما أن السَّمعانيّ وضع نفسه موضع القارىء أو المتلقي، فأورد التساؤلات التي قد تدور في عقله أو تخطر على ذهنه عند تلقيه النص القرآني وتَعرضه لتفسير الآيات، وأجاب عليها بصورة دقيقة ومقنعة، وفي هذا ما يدل على مدى دقة هذا التفسير وبساطته في الوقت ذاته.

في هذا البحث أتناول أثر دلالة السياق في بعض الألفاظ القرآنية التي تعرض لها السَّمعاني في تفسيره ، وأيضًا أتعرض لدلالة اللفظ في ذلك السياق دون غيره ضمن التعبير القرآني، ثم بيان تأثير السياق على دلالة تلك الألفاظ وبيان معانيها بصوره مبسطة، فـ "المعنى هو الهدف المركزي الذي تصبو إليه سهام الدراسة من كل جانب"[1].

❖ **لفظ الأُمَّة:**

ورد هذا اللفظ بعدة معانٍ ، تختلف باختلاف ورودها في سياقات متعددة، فكل سياق يضفي عليها معنًى يتميز به هذا السياق وتتفق دلالته مع المقام العام الوارد هو به، ومن هذه المعاني التي دلت عليها لفظ الأُمَّة:

[1]) اللغة العربية معناها ومعناها : تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م، ص ٢٨

١) الأُمَّة بمعنى جماعة من الناس:

في قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى -عليه السلام- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾[١] تخبرنا الآية عن سيدنا موسى -عليه السلام -عندما وصل الى مدينة مَدْينَ فوجد جماعة من الناس يسقون إبلهم، فـ " لما ورد مُوسَى مَاء مَدين، وَهُوَ بِئْر كَانُوا يسقون مِنْهَا أغنامهم ومواشِيَهُمْ وَقَوله﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أَي: جمَاعَة وَقَوله﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ أي: سوى الْجَمَاعَة امْرَأَتَيْنِ... وَقَوله﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تحبسان وتكفان أغنامهما من مُخَالطَة أَغْنَام النَّاس. "[٢]

فلفظ (أُمَّة) في هذه الآية يُراد به " جماعة كثيفة العدد مِنَ النَّاسِ"[٣] ، وهذه الجماعة كانت تسقي إبلها، وأشار سياق الآية إلى تلك الدلالة، ورجح هذا المعنى القرائن اللغوية والتي تتمثل في (من الناس، يسقون، من دونهم) فهذا يدل على الجمع،وتفصح دلالات تلك القرائن عن أن المقصود بالأمة هنا:جماعة من الناس أو طائفة منهم، كما أشار إلى ذلك سياق الآية.

٢) الأمة بمعنى القوم أو الطائفة :

ذهب السَّمعانيّ في تفسير قوله تَعَالَى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٤]إلى أن المقصود بالأمة في هذه الآية " هِيَ الْجَمَاعَة إِذا كَانُوا على مَنْهَج وَاحِد ومقصد وَاحِد . وَالرَّسُول: كل من حمل رِسَالَة ليؤدِّيَهَا على الْحق. وَقَوله تَعَالَى ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ قَالَ مُجَاهِد: فَإِذا جَاءَ رسولهم شَاهدا عَلَيْهِم يَوْم الْقِيَامَة ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أَي: بِالْعَدْلِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يَعْنِي: لَا يُنْقَصُ من حَقهم"[٥] ولا يُظلمُ منهم أحدٌ، فقد أرسل الله – عزّ وجلّ – لكل أمة ولكل

---

١)) سورة القصص ٢٣:٢٨

٢)) تفسير السمعاني : ٤/ ١٣١

٣)) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ ، ٣ / ٤٠٠

٤)) سورة يونس ٤٧:١٠

٥)) تفسير السمعاني : ٢، ٣٨٧

قوم رسولًا يرشدهم لعبادة الله وحده، فأرسل سيدَنا نوحًا – عليه السلام – لقومه، وأرسل سيدَنا إبراهيم- عليه السلام- لقومه ليهديَهم إلى عبادة الله وَحَدَه وترك عبادة الأصنام، كما أرسل سيدَنا موسى لبني إسرائيل، وأرسل سيدَنا عيسى – عليه السلام – للنصارى، وأرسل المصطفى -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس جميعًا فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

فمن رحمة الله – عزّ وجلّ- بعباده أنّه أرسل إلى كل جماعة رسولاً منهم يدعوهم لدين الحق، ويبلغهم رسالات ربه، كما أنه يشهد عليهم يوم القيامة إن أنكروا ذلك " فَكُلُّ أُمَّةٍ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ بِحَضْرَةِ رَسُولِهَا وَكِتَابُ أَعْمَالِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ مَوْضُوعٌ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ وَحَفَظَتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ شُهُودٌ أَيْضًا أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الشَّرِيفَةُ وَإِنْ كَانَتْ آخِرَ الْأُمَمِ فِي الْخَلْقِ إِلَّا أَنَّهَا أَوَّلُ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ وَيُقْضَى لَهُمْ "[1] فوضح سياق الآية أنَّ كل أُمّة أو جماعة من الناس قد أرسل الله لهم رسولًا، وتلك الدلالة تتفق وسياق الآية ككل، وتُعين في تفسيرها بصورة أدق وأوضح.

ومثل ذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [2] فيومَ القيامة تأتي الرسل شهداء على أممهم ، فكل أمة وكل قوم يأتي رسولُهم شهيدًا عليهم، وذلك لأنّ هؤلاء الكفار ينكرون أن يكون قد جاءهم رسلٌ من عند الله، وينكرون دعوتهم لهم بالإيمان والتوحيد، كما ينكرون تبشير الرسل لهم بالجنة وإنذارهم بالنار، وحكى عنهم القرآن في قوله تَعَالَىٰ:﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [3] فيومَ القيامة، يأتي كلُّ رسولٍ شهيدًا على أمته، ولذلك قال الله تعالىَ " فكيف الحال إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ وأراد بالشهيد من كل أمة نبيَّها، وشهيدُ هذه الأمة: نبينا..."[4]

---

١)) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ،تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ، ٤/ ٢٣٧

٢)) سورة النساء ٤: ٤١

[3]) سورة الملك ٦٧: ٨، ٩

[4]) تفسير السمعاني: ١ / ٤٢٨

فأوضح هذا السياق أن المراد بالأمة ، هم القوم الذين أُرسل إليهم الرسول، فقد أرسل الله سيدَنا صالحًا – عليه السلام – إلى قوم ثمود، كما أرسل سيدَنا هودًا – عليه السلام- إلى قوم عاد، وأرسل سيَدنا شعيبًا – عليه السلام- إلى قوم مَدْين، إلا أن هؤلاء القوم كان منهم المكذِّبون الذين كذبوا الرسل، فيأتي كل نبي شهيدًا على هؤلاء المكذبين من قومِه يومَ القيامة.

٣) الأُمَّة بمعنى الحين أو مدة من الزمن:

في قوله تعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [١] ورد لفظ (الأمة) بمعنى " المدة ، وفي القصة: أن الملك جمع السحرة والكهنة وقصّ عليهم رؤياه، فلمّا عجزوا عن تعبيرها اهتمّ همًّا شديدًا، فتذكر الساقي حال يوسف – عليه السلام -،... فَجَثى[٢] بين يدي الملك وقال: إن في السجن رجلًا محبوسًا وهو يعبر الرؤيا، وذكر قصته ؛ فَهَذَا معنى قَوْله تعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وَالْأمة هَاهُنَا بِمَعْنى الْحِين... "[٣].

ووضح سياق الآية أن المقصود بأمة هنا (مدة من الزمن - حين) فقوله تعالى ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾أي: وتذكر بعد مدة من الزمن، أو تذكر بعد حين، وساعدنا أيضًا في تحديد تلك الدلالة بصورة أدق السياق القرآني المحيط بالآية – موضع التفسير – فورد في آية سابقة عليها قوله تعَالَىٰ:﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [٤] وبعد مرور السنين هذه تذكَّر هذا الساقي – الذي نجا من الرجلين- سيّدَنا يوسفَ – عليه السلام – وأخبر الملك بقصته، وكيف أنّه يُعَبِّرُ الرؤيا، فأرسل إليه الملك، وبهذ أثّر السياق في توجيه دلالة لفظ (أمة) إلى دلالة متميزة تتناسب وسياق الآيات لخدمة المعنى العام للمقام.

---

[١]) سورة يوسف ١٢: ٤٥

٢)) والصواب **جثا:** جَثَا يَجْثُو ويَجْثِي جُثُوّاً وجُثِيّاً، عَلَى فُعُولٍ فِيهِمَا: جَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِلْخُصُومَةِ وَنَحْوِهَا. وَيُقَالُ: جَثَا فُلَانٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ... (انظر لسان العرب : ١٤ / ١٣١)

[٣]) تفسير السمعاني: ٣ / ٣٥

[٤]) سورة يوسف ١٢: ٤٢

وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾[1] فالمقصود بالأمة في هذه الآية: الزمن المقدر أو الأجل المقدر، فتخبرنا الآية الكريمة عن هؤلاء المشركين الذين يستعجلون العذاب فـ" قَوْله تَعَالَى﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ مَعْنَاهُ: إِلَى أجل مَعْدُودَة . وقَوْله: ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ مَعْنَاهُ: ليَقولن الَّذين كفرُوا: أَي شَيْء يحْبسهُ؟ يَعْنِي: الْعَذَاب . وَقَوله تَعَالَىٰ:﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ مَعْنَاهُ: أَلا يَوْم يَأْتِيهم الْعَذَاب لَا يكون الْعَذَاب مصروفا عَنْهُم ، وَقَوله ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ مَعْنَاهُ: وَنزل بهم جَزَاء استهزائهم "[2]

فأشار سياق الآية هنا إلى أن لفظ الأمة، أراد به وقتًا مقدرًا أي أخّر الله عنهم العذاب إلى أجل محدود، ووضح تلك الدلالة قوله تعالى (أخرنا - إلى أمة معدودة) أي أخرناه إلى زمن مقدر ومحدود وهو ليس ببعيد، لدلالة قوله تَعَالَىٰ:﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ أي بعدما أخرناه إلى يوم مقدر، فحين يأتي هذا اليوم حينئذ ليس مصروفًا عنهم العذاب، الذي كانوا يستعجلونه، ويكذبون بوجوده، ويستهزئون بمَن صدق به وآمن بالله، فيحيط بهم هذا العذاب جزاءًا لاستهزائهم به.

فوضح السياق أن الأمة تُطلق على المُدة أي بعد مُدة، و " وَمَعْدُودَةٍ مَعْنَاهُ مُقَدَّرَةٌ، أَيْ مُؤَجَّلَةٌ. وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَدِيدَةً لِأَنَّهُ شَاعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِطْلَاقُ الْعَدِّ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِمَا عَلَى التَّقْلِيلِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْعَدَدِ، ... فَإِذَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ إِلَى أَجَلٍ اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ اسْتَفْهَمُوا عَنْ سَبَبِ حَبْسِهِ عَنْهُمُ اسْتِفْهَامَ تَهَكُّمٍ ظَنًّا أَنَّ تَأَخُّرَهُ "[3] وبهذا كان لسياق الآية دور فعّال في تحديد لفظ (الأمة) بدلالة دقيقة تتناسب تتناسب تلك الدلالة والمعنى العام للآية الذي يسعى إلى توصيله للمتلقي بصورة أدق وأوجز.

---

[1]) سورة هود ١١: ٨

[2]) تفسير السمعانى: ٢ / ٤١٥

[3]) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٠

٤) الأُمَّة بمعنى المِلَّة والدين والمذهب:

جاء قول الله – عزّ وجلّ – على لسان المشركين حين دعاهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – للإيمان بالله وحده، وترك عبادة الأصنام والشرك بالله، فردوا عليه قائلين: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١] فردوا على رسولنا المصطفى بأنهم وجدوا آباءهم على هذه الملة وعلى عبادة تلك الأصنام، فأمة هنا تعني (الملة أو الدين)، " فقوله: (على أمة) أي: على ملة ودين... وَقوله ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أَي: متبعون "[٢] وأورد قول النابغة (من الطويل):

حَلَفْتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ رِيبةً * وهلْ يأثمَنْ ذو أمّةٍ وَهْو طائِعُ؟**

ذو أمة أي "ذو ملة وذو دين ، يقول النابغة مخاطبًا النعمان: لقد أقسمت لك ولم أَدَعْ موضعَ ريبة إلا فنَّدتُه، وكيف يأثم مَن له دين مثلي طائعًا مختارًا..."[٣] .

فأشار سياق تلك الآية إلى أن (أمة) هنا هي الملة والدين التي كان عليها آباء المشركين، فقد "اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُ لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ سِوَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ، وَمَعْنَى عَلَى أُمَّةٍ: عَلَى طَرِيقَةٍ وَمَذْهَبٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ الطَّرِيقَةُ وَالدِّينُ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ وَالدِّينُ، يُقَالُ فُلَانٌ لَا أُمَّةَ لَهُ: أَيْ لَا دِينَ لَهُ... "[٤] ومن ثَمَّ سار الأبناء على ملة الآباء ودينهم واهتدوا بطريقتهم دون تفكير أو تأمل في ملكوت الله، فعلى ملتهم ودينهم كانوا مهتدين ، أي مُتَّبِعيهم.

---

[١]) سورة الزخرف ٤٣: ٢٢

[٢]) تفسير السمعاني: ٥ / ٩٧

[٣]) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، صـ ٥٥، قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ، والبيت استُشهد به : القرطبي في تفسيره ، ١٦ / ٧٥ . و في التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٨٧ . وفي فتح =القدير للشوكاني : ٤ / ٦٣١. وفي تفسير الماوردي = النكت والعيون : أبو الحسن البصري (ت ٤٥٠هـ) تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان ، ٥ / ٢٢١

[٤]) فتح القدير : الشوكاني ، دار ابن كثير ،– دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ ، ٤ / ٦٣١ (واستشهد بقول النابغة نفسه)

وجاء أيضًا لفظ (الأمة) بمعنى الدين والملة: في قوله ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[1] الآية الكريمة هي خطاب من المولى – عزّ وجلّ- لأن هذه الأمة أمة واحدة أي: هذا "دينكم دينٌ واحدٌ، وقيل شريعتكم شريعةٌ واحدةٌ... "[2] فوضح السياق أن المقصود بأمة هنا هو الدين والشريعة الواحدة لجميع البشر، وهي وحدانية الله وعبادته وَحدَه لا شريك له، وقد أمرهم الله بالتقوى والإيمان به قائلًا: هذا "دِينِكُمْ دِينًا وَاحِدًا لَا يَتَعَدَّدُ فِيهِ الْمَعْبُودُ. وَكَوْنِي رَبَّكُمْ فَاتَّقُونِ وَلَا تُشْرِكُوا بِي غَيْرِي، خِطَابًا لِلرُّسُلِ وَالْمُرَادُ أُمَمُهُمْ..."[3] فساعد السياق هنا على إبراز معنى (أمة) بما يتلاءم وسياق الآية الواردة هي به، ويقوي تلك الدلالة الآية السابقة في قوله تعالى مخاطبًا رسله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[4] فالخطاب مُوَجَّه للرسل جميعِهم – علمًا بأن وقت نزول الآية لم يكن إلا رسول الله المصطفى فقط – صلى الله عليه وسلم- ولكن هذا للدلالة على أن هذا الأمر من الله قد وُجه لجميع الرسل من قبل، وكان لكل رسول من الرسل قوم، يدعوهم لتقوى الله، وعبادته وحده، والأكل من الطيبات، والعمل الصالح، وأن الدين واحد، وأن تقوى الله وتوحيده واجب، فأبرز السياق القرآني بذلك دلالة لفظ (أمة) على الدين أو الملة أو الشريعة، كلها مترادفات تؤدي الدلالة نفسها وتتناسب مع السياق القرآني.

❖ **لفظ (السلم):**

١) السِّلم بمعنى الإسلام:

ورد لفظ (السلم) بصور مختلفة منها : السِّلم بكسر السين وفتحها ، والسَّلَم بفتح السين واللام ، ولكل منها معنى معين يختلفت باختلاف السياق الذي يضفي على اللفظ معنى يتفق معه "والسِّلْمُ: الإِسلامُ "[5] في

---

[1]) سورة المؤمنون ٢٣: ٥٢

[2]) تفسير السمعانى: ٣ / ٤٧٨

[3]) التحرير والتنوير: ١٨ / ٧٠

[4]) سورة المؤمنون ٢٣: ٥١

[5]) لسان العرب : ١٢ / ٢٩٥

قوله تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [١]، ينادي الله – عزّ وجلّ – المؤمنين من عباده، الذين صدّقوا دعوة رسوله المصطفى وآمنوا بالله وَوَحَّدُوه ، قائلًا:" ادخلوا جميعًا في الإسلام... "[٢]. والسياق القرآني للآية الكريمة يُرشح تلك الدلالة وهي الإسلام، فقد أمرهم الله بالدخول " في السلم أي الإسلام بجميع تكاليفه بحيث لا تتركون تكليفًا يشذّ منكم "[٣] ثم أردف ناهِيَهم عن اتباع الشيطان بقوله تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ فنهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وارتكاب المعاصي التي يوسوس لهم الشيطان بها، معلّلًا ذلك بأنّ الشيطان عدوٌ مبين لهم، فهو عدوهم مُنذ خُلِقَ آدم- عليه السلام-، فرجّح السياق أن (السلم) هنا بمعنى الإسلام، والخطاب من الخالق مناديًا المؤمنين للدخول في الإسلام واتباع جميع تعاليمه والعمل به في حياتهم الدنيا، فإن "قال قائل: كيف خاطب المؤمنين بالدخول في الإسلام؟ قيل: معناه: الثبات على الإسلام، ويحتمل أنّه خطاب الذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب "[٤]

٢) السَّلْم بمعنى الصلح:

وجاءت هذه المفردة بمعنى (الصلح) "والسَّلْمُ والسِّلْمُ: الصُّلْحُ، يُفْتَحُ وَيُكْسَرُ ..."[٥] في قوله تعالى مخاطبًا رسوله الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿*وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٦] فـ " السَّلم وَالسِّلم : الصُّلْح، الصُّلْح، وَمَعْنَاهُ: وَإِن مالوا إِلَى الصُّلْح فَمِلْ إِلَيْهِ. "[٧]

السياق القرآني المحيط بتلك الآية يُرشح هذه الدلالة ، فأمر الله – سبحانه وتعالى رسوله بقَبُول الصلح إن رأى منهم الميل إليه ، وأن يتوكل على الله ويثق في نَصْر الله له، فهو السميع لجميع أقوالهم وخِططهم،

---

[١]) سورة البقرة ٢: ٢٠٨

[٢]) تفسير السمعاني : ١ /٢٠٩

[٣]) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ٢/ ٨٨١

[٤]) تفسير السمعاني : ٢١٠/١

[٥]) لسان العرب : ١٢ / ٢٩٢

[٦]) سورة الأنفال ٨: ٦١

[٧]) تفسير السمعاني : ٢ /٢٧٦

والعليم بمكائدهم وأحوالهم وأفعالهم، فإن أرادوا الصلح وأظهروا ذلك فاجنح إليه وتصالح معهم، قال الشاعر:(من البسيط)

السَّلْمُ تأخُذُ منها ما رَضِيْتَ به *** والحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

" أي إن: السَّلم وإن طالت لا يضرك طولها والحرب يكفيك منها اليسير "[1]

والمقام القرآني المتمثل في قوله تَعَالَىٰ:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ إلى قوله ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، يوضح أن السياق ما هو إلا سياق حرب، وسياق الحرب ينتهي إمّا بالهزيمة وإمَّا بالنصر، وهنا بعد أنْ أمر الله رسوله بإعداد العدة للحرب، قال له:وإن رأيتَ منهم ميلَهُمْ للصلح والسلم وترك الحرب، فاجنح لذلك ومِل إليه فـ "عليك – أيّها الرسول الكريم – أن تُنكّل في الحرب بأولئك الكافرين الناقضين لعهودهم في كل مرة، وأن تُهَيِّئ ما استطعتَ من قوة لإرهابهم فإنّ مالوا بعد ذلك إلى السلم أي: المسالمة والمصالحة فوافقهم ومل إليها... "[3] فوجه السياق دلالة لفظ (السَّلْم) إلى ما يتناسب والدلالة العامة للمقام الوارد به اللفظ.

وجاء لفظ السَّلْم بمعنى (الصلح) أيضًا في قوله تَعَالَىٰ:﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[4] فالمراد بالسلم هنا (الصلح) والخطاب للمسلمين، فقوله تعالى "﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أَي: إِلَى الصُّلْح، نهى الله تَعَالَى الْمُسلمين أَن يطلبوا الصُّلْح مَعَ الْكفَّار إِذا أمكنهم الْقِتَال . وَقَوله ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أَي: الغالبون القاهرون . وَقَوله تَعَالَى﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أَي: بالنصرة وَالْحِفْظ . وَقَوله تَعَالَى﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أَي: لن ينقصكم من ثَوَاب أَعمالكُم شَيْئا ...

---

[1]) ديوان العباس بن مرداس السليمي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١ م، صـ١٠٣ (في قصيده له يخاطب فيه خفاف بن ندبه)واستشهد به أيضًا

فخر الدين الرازي في التفسير الكبير = مفاتيح الغيب : ١٥ / ٥٠٠

[2]) سورة الأنفال ٨: الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢)

[3]) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي : ٦ / ١٤٥

[4]) سورة محمد ٤٧: ٣٥

"[١]، يوضح سياق الآية أنّ دلالة لفظ (السَّلْم) هنا أي: الصلح، ويؤكد معنى الآية العام ذلك، فقد نهى الله المسلمين عن الضعف أمام الكافرين، وإظهار الوهن أمامهم ودعوتهم للصلح، لا بل المسلمون هم الأقوياء، هم الأَعْلَوْنَ بنصرة الله وتأييده لهم، والله - عزّ وجلّ - معهم ولن ينقصهم من أجورهم في الجهاد في سبيل الله شيئًا وهذا وعد الله لهم، لذلك قال لهم: لا " تَهِنُوا ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدوّ وَلا تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ... وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ أى الأغلبون الأقهرون وَاللَّهُ مَعَكُمْ أى ناصركم، وعن قتادة: لا تكونوا أوّل الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة "[٢]، بلّ أنتم الأقوياء، بمعية الله لكم، ولا ضرر إن بدأ الكفار بالصلح إذا كان هذا بمصلحة المسلمين فلا بأس من قبول الصلح.

❖ **لفظ (الكُرْه):**

ورد هذا اللفظ غيرَ مرةٍ في القرآن الكريم، تارة بضم الكاف، وتارة أخرى بفتحها، وقال : " الْفَرَّاءُ: الكُرْه، بِالضَّمِّ، المَشَقَّةُ. يُقَالُ: قُمْتُ عَلَى كُرْهٍ أَي عَلَى مشقَّةٍ. قَالَ: وَيُقَالُ أَقامني فُلَانٌ عَلَى كَرْهٍ، بِالْفَتْحِ، إِذَا أَكرهك عَلَيْهِ..."[٣].

(١) الكُره بمعنى المشقة:

في قوله تَعَالَىٰ:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤] الكره هنا بمعنى: أنه أمرٌ شاقٌ ومُتعِبٌ ومُرهِقٌ للنفس، والسياق العام للآية الكريمة يؤكد هذه الدلالة ويوضحها بصورة دقيقة، فقد أمر الله المسلمين بقتال الكافرين، والجهاد في سبيل الله رغبةً في إعلاء كلمة الحق ونشر الإسلام، فكتب عليهم القتال وهو يعلم ما يدور في نفوسهم ، فقوله تعالى " ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ أَي: شاق عَلَيْكُم ... ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ يَعْنِي: الْقِتَال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بِإِصَابَة الشَّهَادَة، وحيازة الْغَنِيمَة، وَالظفر

---

(١) تفسير السمعاني : ٥ ، ١٨٥
(٢) تفسير الزمخشري : ٤ / ٣٢٩
(٣) لسان العرب : ابن منظور (مادة : كره) ،١٣ / ٥٣٤
(٤) سورة البقرة ٢: ٢١٦

بالعدو)وَعَسَى أَن تحبوا شَيْئا(يَعْنِي: الْقعُود عَن الْقِتَال)وَهُوَ شَرّ لكم(بفوت الْمنَازل..."[1].

فوضَّحَ سياقُ الآيةِ دلالةَ لفظ (الكُره) هنا بمعنى المشقة، وذلك في ضوء السياق العام للآية، وليس ككلمة مفردة خارج السياق، وإنما أثَّر السياق في تطويع اللفظ لهذا المعنى، كي يتناسب وسياق الآية من إخبار الله لنا بما يدور داخل قلوب المسلمين، فأخبرهم بما هو خيرٌ لهم، قائلًا:" عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ في أنكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيدا، وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا الدَّعَةَ وتركَ القتال وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم"[2].

فناسبت هذه الدلالة سياق الآية ومعناها العام، وذلك لتوصيل الغرض من الآية، وإيصال مضمونها للمسلمين، وبيان ما تهدف إليه من تأكيد إيراد الله الخير للمسلمين وهم لا يعلمون ويظنون أنه شرٌ لهم، فوضح الله –عزّ وجلّ – لهم أن في هذه المشقة يتمثل الخير قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

([1]) تفسير السمعاني : ١ / ٢١٥ ، ٢١٦

([2]) المحرر الوجيز : لابن عطية ، ١ / ٢٨٩

النتائج :

- تحديد السياق لدلالة اللفظ في ضَوْء المَقَام الوارد به مستعينًا بما يسبقه أو يلحقه أو بالمعنى العام للمَقَام ككل.
- بيان العَلَاقة الوثيقة بين السياق والكلمة المفردة والتي تكتسب قيمتها الدلالية حينما تُستخدم في سياقها المناسب، بُغْية الوصول للمراد من الخطاب القرآني.
- إلقاء "السَّمعانيّ" الضوء على السياق لكونه من أبرز الأسس وأهمها في الإعانة على فَهْم النَّصّ القرآني وتفسيره.
- انتقاء السَّمعانيّ المعاني اللغوية الدقيقة للألفاظ – إذا ما كان للفظ أكثر من معنى- في ضَوْء دلالة الآية وسياقها العام.

وتوصي الدراسة :

- بأهمية الكشف عن أثر السياق في تحديد دلالة الأفعال في تفسير السمعاني .
- توصي الدراسة أيضًا بضرورة إبراز أثر السياق في تحديد دلالة التراكيب الخبرية والإنشائية في تفسير السمعاني .

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

القرآن الكريم

ثانيًا المراجع :

- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ،تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
- تفسير القرآن: أبو المظفر السمعاني، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض - السعودية، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ،الطبعة: الأولى
- ديوان العباس بن مرداس السليمي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١ م
- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
- فتح القدير : الشوكاني ، دار ابن كثير ، دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
- اللغة العربية معناها ومعناها : تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م
- مجمع الفتاوي : ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد – المدينة النبوية – السعودية، ١٤١٦ه – ١٩٩٥م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ